

أضواء البيان

@ 15 : واعلم : أن العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى : فعل ، فقوله : { فَقَدَّ جَاءُوا طُلُومًا } ، أي : فعلوه ، وقيل : بتقدير الباء ، أي : جاءوا بظلم ، ومن إتيان أتي بمعنى فعل قوله تعالى : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا } ، أي : بما فعلوه . وقول زهير بن أبي سلمى : % (فما يك من خير أتوه وإنما % توارثه آباء آبائهم قبل) % .

واعلم بأن الإفك هو أسوأ الكذب ، لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل ، والعرب تقول : أفكه بمعنى قلبه ، ومنه قوله تعالى في قوم لوط : { وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَلْتَفِكُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } ، وقوله : { وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى } ، وإنما قيل لها مؤتفكات ؛ لأن الملك أفكها ، أي : قلبها ؛ كما أوضحه تعالى بقوله : { جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا } . { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبْنَاهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِمْ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنََّّهُ كَانَ عَافِيًا رَحِيمًا } . ذكر جل وعلا في الأولى من هاتين الآيتين أن الكفار ، قالوا : إن هذا القرآن أساطير الأولين ، أي : مما كتبه ، وسطره الأولون كأحاديث رستم واسفنديار ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم جمعه ، وأخذه من تلك الأساطير ، وأنه اكتتب تلك الأساطير ، قال الزمخشري : أي كتبها لنفسه وأخذها ، كما تقول : استكتب الماء واصطببه إذا سكب وصببه لنفسه وأخذه ، وقوله : { فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ } ، أي : تلقى إليه ، وتقرأ عليه عند إرادته كتابتها ليكتبها ، والإملاء إلقاء الكلام على الكاتب ليكتبه ، والهمزة مبدلة من اللام تخفيفًا ، والأصل في الإملاء الإملال باللام ، ومنه قوله تعالى : { فَلَا يَكْتُوبُ وَلَا يُمْلِلُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ } . . .

وقوله : { بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا } ، البكرة : أول النهار ، والأصيل : آخره . . . وما ذكره جل وعلا في هذه الآية من أن الكفار ، قالوا : إن القرآن أساطير الأولين ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تعلمه من غيره ، وكتبه جاء موضحًا في آيات متعددة ؛ كقوله تعالى : { وَإِذَا تُمْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَا مِثْلَهُ هَٰذَا إِنَّا نَحْنُ الْوَالُونَ } . . .

وقد ذكرنا آنفًا الآيات الداللة على أنهم افتروا عليه أنه تعلم القرآن من غيره ، وأوضحنا عنيتهم ، وكذبهم في ذلك في سورة (النحل) ، ودلالة الآيات على ذلك في الكلام

على قوله تعالى : { لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } ، فأغنى ذلك
عن إعادته هنا .